الجامعة الأمريكية المفتوحة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية

علوم الحديث (٢)

الإمام البخاري

لا أحد في العالم الإسلامي يجهل شخصية الإمام البخاري وما قدم للعالم الإسلامي من خدمات، فماذا قدم؟ ومن هو هذا الرجل اللامع الاسم الذائع الصيت؟

نسبه:

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي ولاء البخاري مولدا شرف الله جده المغيرة بالإسلام على يد اليمان الجعفي والى بخاري فانتمي إليه بولاء الإسلام وسرى منه هذا الولاء إلى ذريته جيلا بعد جيل ومنهم الإمام البخاري.

وبخاري مدينة أعظم مدن ما وراء النهر (نهر جيحون) وهي الآن تحت النفوذ السوفيتي بولاية أزبكستان في آسيا الوسطي.

مولده:

ولد رحمه الله ببخاري لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة (١٩٤ هـ) في بيت مبارك بالعلم معطر بالتقوى فقد كان أبوه إسماعيل من العلماء العاملين والنبلاء الورعين قابل مالكا وابن المبارك وحدث عن جماعة من مشاهير المحدثين وحدث عنه بعض المراقبيين وشهد له كثيرون بالصدق والوثوق وكان إلى جانب علمه وتقواه كثير المال الخالص الحلال.

واستقبل منزل الحديث والتقوى والثراء العريض محمد بن إسماعيل البخاري فقرت به عينا والديه ثم ما لبث الوالد أن توفي وتركه يتيما في ظل والدته التقية تحبوه بعطفها وتستلهم السبيل القويم لتربيته.

عصر البخاري:

ولد البخاري في عصر راجت فيه سوق الحديث وانتصرت مدرسته بعد صراع عنيف مع المبتدعة برز فيه دور الإمام أحمد بن حنبل واستمر في عهد المأمون والمعتصم والواثق حتى ختمه المتوكل على الله بن المعتصم برفع المحنة عن أهل الحديث والوقوف ضد المبتدعة وهو صراع امتد من سنة ٢١٢هـ في عهد المأمون إلى سنة ٢٣٢هـ في عهد المتوكل، أي عشرين عاما كاملة، وككل معارك الفكر لم يكن الجمهور بعيدا عن الصراع وكان ميل أهل التقوى مع المحدثين طوال المحنة فلما زالت عنهم زاد الميل إليهم وكثر جمهورهم.

من هنا كان توجه والدته في تربيتها له إلى مجال العلوم الدينية والحديث على وجه الخصوص أضف إلى ذلك ما كان عليه الوالد من طلب العلم وبذل التعليم وبالجملة كان البيت تفوح منه رائحة العلم الزكية وتهب عليه نسائم العلم التي تملأ جو الشرق الإسلامي في ذلك الوقت.

ولقد هيأ الله للإمام البخاري وسائل الرفعة وآيات الارتقاء فظهرت عليه مخايل الذكاء والنجابة في صغره بصورة واضحة نادرة فحفظ القرآن وبدأ يحفظ الحديث وهو في سن العاشرة. قال محمد بن أبي حاتم الوراق: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري كيف

كان بدء أمرك في طلب الحديث قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب قلت: كم أتي عليك إذ ذاك ؟ قال: عشر سنين.

وما أن جاوز العاشرة ودخل في سن الحادية عشرة حتى ترك الكتاب وانصرف إلى مدارس الحديث في دائرة وطنه لينهل من مواردهم حاملا عقلا وقادا وذاكرة واعية وخلقا كريما فاكتسب بذلك ثقة مكنته من التحميل ودفعته لأن يقف وهو في سن مبكرة ليصحح ما أخطأ فيه أستاذ من عمالقة الحديث وهو: أستاذه (الداخلي)، ويدخل معه في مناقشة علمية انتهت بتسليم أستاذه له واعترافه بصحة ما قال به البخاري عن ذلك فيقول ثم خرجت من الكتاب بعد العشر اختلف إلى الداخلي وغيره فقال يوما فيما كان يقرأ على الناس (سفيان عن أبي الزبير(المكي) على إبراهيم النخعى، فقلت له: يا أبا فلان أن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك فدخل ونظر فيه ثم خرج وقال: كيف هو يا غلام؟ فقلت هو الزبير بن عدى عن إبراهيم فأخذ القلم مني وأحكم كتابه فقال صدقت، فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت آذ رددته عليه؟ قال: ابن أحدى عشرة سنة.

واستمر الفتي النابه يطرد تقدمه وينحو ذكاؤه ويتكاثر علمه ويلمع نجمه حتى لفت إليه أنظار أقرانه وأساتذته فلما بلغ السادسة عشرة من عمره حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وهما المحدثان المشهوران في عالم الحديث.

رحلة البخاري في طلب الحديث:

لم يشبع قطر البخاري نهمه ولم يحقق حاجته فرحل عنه بعد أن أتي على ما فيه من علم وخبر ما فيه من علماء فطار على أجنحة همة عالية يطوف في أرجاء الدنيا طالبا للحديث ورجاله، جامعا لكل ما يمكن منه متعرفا على كل ما يدور فيه وحوله، وبدأ رحلته المباركة بمكة المكرمة مهبط الوحي ومنبت الرسالة وفي موسم الحج لتأدية فريضة الحج واستصحب معه السيدة التي ربته والأم التي رعته وأخاه أحمد الذي يكبره سنا وكان ذلك سنة ٢١٦هـ.

ملامح من صفاته الرشيدة:

كان البخاري لا يجهل مكانته وحب الناس له فآثر أن لا يترك مجالا يمكن أن ينفذ منه هذا الحب كأثر مادي في حياته، فقد حكي (وراقه) أنه سمعه يقول: ما توليت شراء شيء قط ولا بيعه كنت آمر إنسانا فيشترى لي قيل له ولم؟ قال لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط، وخرج يوما إلى أحد شياخه فتأخرت نفقته فجعل يتناول حشيش الأرض ولا يسأل أحدا شيئا حتى وصل إليه المال، وكان غاية في الحياء والكرم والسخاء والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وكان له مال كثير ينفق منه سرا وجهرا لاسيما في طلب العلم وعلى طلبته وقد قال عن نفسه:كنت استغل في كل شهر خمسمائة درهم فأنفقها في الطلب وما عند الله خير وأبقى.. وكان دائم المراقبة لله تعالي في حركاته وسكناته وكل أموره، حكي أنه استلقي بفربر في تصنيف كتاب التفسير وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في التخريج فقال له

وراقه، أني سمعتك تقول ما أتيت شيئا بغير علم فما الفائدة في الاستفتاء؟ قال: أتعبت نفسي اليوم وهذا ثغر خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة، فإن هاجمنا العدو كان بنا حراك.. وقال البخاري: دعوت ربي مرتين فاستجاب(يعني في الحال) فلن أحب أن أدعو بعد فلعله ينقص حسناتي- وقال: لا يكون لي خصم يوم القيامة فقيل له أن بعض الناس ينقمون عليك التاريخ يقولون فيه اعتياب الناس فقال إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (بئس أخو العشيرة) وقال: ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة حرام.

وكان يصلي ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة فلما قضي صلاته قال: انظروا أي شيء هذا الذي آذاني في صلاتي فنظروا ماذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعا ولم يقطع صلاته، وكان قليل الأكل كثير الإحسان مفرط الكرم وبالجملة كان مثالا في قوله وفعله سرت السنة في لحمه وعظمه وسيطرت على سلوكه وتصرفاته ومشاعره فكان قدوة في كل مجال ومن شعره الحكيم:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ... فعسي أن يكون موتك بغتة

كم صحيح رأيت من غير سقم ... ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

ونعي إليه أحد أحبابه فأنشد:

أن عشت تفجع بالأحبة كلهم ... وبقاء نفسك لا أبالك أفجع

مؤلفاته:

وشخصية كشخصية الإمام البخاري رغم أثرها الهائل في مجال الدرس والتعليم والرواية والدراية لم يخل أثرها من مؤلفات في شتي المجالات التي تتصل بالحديث الشريف والسنة النبوية الكريمة ومن هذه المؤلفات:

١- الجامع الصحيح (صحيح البخاري).

٢- الأدب المفرد- مطبوع.

٣- رفع اليدين في الصلاة- مطبوع.

٤- بر الوالدين.

٥- التاريخ الكبير- مطبوع.

٦- التاريخ الأوسط.

٧- التاريخ الصغير- مطبوع.

٨- كتاب الضعفاء- مطبوع.

٩- كتاب التفسير الكبير- موجود بمكتبة الجزائر.

١٠- القراءة خلف الإمام- مطبوع.

١١- الكنى- مطبوع.

١٢- العلل.

١٣- أسامى الصحابة.

١٤- الأشربة.

١٥- الوجدان.

وهذه الكتب أما في مجال جمع الحديث في مجالات خاصة أو بصورة عامة أو في مجال البحث عن رواة الحديث من ناحية الجرح والتعديل والتمييز بين الرواة رغم عددهم الهائل ومجال إنتاجهم الغزير.

صحيح البخاري :

قال فيه العلماء بحث أنه أصح كتاب بعد كتاب الله وهو الكتاب الذي أصبح به البخاري أمير المؤمنين في الحديث وكتب له به الخلود ورفع ذكره مقترنا بالصحيح من حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم سماه البخاري: (الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم وسننه وأيامه) ولما كانت ميزته الكبرى التي اختص بها هي وصفة بالصحيح أشتهر بذلك اختصارا فقيل (صحيح البخاري).

سبب تصنيفه:

قضى البخاري خلاصة عصره فيما يتصل بالسنة النبوية الكريمة وكان أقدر الناس على هذا العمل الجليل وقد طلب منه ذلك أستاذه الجليل إسحاق بن راهويه في مجلس حافل بالعلماء فأستحث همته وحرك عزيمته.

قال أنه رأي النبي صلي الله عليه وسلم وهو واقف بين يديه يذب عنه بمروحة في يده في المنام وفسرت الرؤيا بأنه يذب الكذب عن رسول الله صلي الله عليه وسلم.

قال ابن حجر: فلما رأي البخاري هذه التصانيف (الموجودة في عصره) واستنشق رياها واستجلي محياها والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف فتحركت همته لذلك، ثم ذكر قول إسحاق ابن راهوية لمن معه في مجلس العلم: لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وأن البخاري كان أول من استجاب لذلك.

وقد استغرق انتقاء الجامع الصحيح ست عشرة سنة وخرجه من ستمائة ألف حديث وكان يغتسل ويصلي ركعتين قبل أن يكتب فيه حديثا ويستخير الله تعالي في كتابته.

منهجه في الجامع الصحيح:

لم يضع في كتابه إلا ما صح سنده واتصل بنقل العدول الضابطين وخلا من الشذوذ والعلة واشترط أن يثبت لقاء الراوي من روى عنه ولو مرة إذا روى بعن زيادة في التأكد وانتقي من الرجال أكثرهم صحبة لمن روى عنه وأعرفهم بحديثه وأشهرهم بالرواية عنه ولا ينزل عن ذلك إلا في حديث له أصل ثابت بالطريق الأولي لذلك أجمع العلماء كابن حجر والنووي والسيوطي وغيرهم على وجوب العمل بأحاديث البخاري بل لقد قال ابن الصلاح ومن تابعه أن كل ما ورد في البخاري ومسلم

بالإسناد المتصل مقطوع بصحته والعلم النظري حاصل بصحته في نفس الأمر لأن الأمة تلقت ذلك بالقبول.. وقد قال الجويني: لو حلف إنسان بالطلاق أن ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكم بصحته من قول النبي صلي الله عليه وسلم لما لزمه الطلاق ولا حنث فيه لإجماع المسلمين على صحته.

وعدد أحاديث صحيح البخاري كما قال ابن حجر بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعين حديثا وجملة ما فيه من التعليق ألف وثلاثمائة وواحد وأربعون وأكثرها مخرج من أصول متونه والذي لم يخرجه مائة وستون وفيها من المتابعات والتنبيهات على اختلاف الروايات ثلاثمائة وأربعة وثمانون.

ومعني المعلق ما ورد بسند غير متحل بأن حذف من أول إسناده ولو أو أكثر وجاء به البخاري هكذا ليبين أنه ليس من مقصود كتابه وإنما أتي به إيناسا واستشهادا ولزيادة التوضيح.

وقد أكثر في كتابه (الصحيح) من التراجم فقبل أن يذكر الحديث أو الأحاديث يذكر الترجمة التي تناسبه كأنها شرح له أو توجيه إلى بديعة فيه أو معني خفي يدرك بإجهاد الذهن معه وغرضه من ذلك كما قال الإمام النووي:الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أردها من الفقه والأصول والزهد والأدب والأمثال وغيرها وربط كثيرا من أحاديثه بآيات من القرآن وأقوال السلف وما يستنبطه من روح الأحاديث

فكانت مفتاحا لفهم الحديث وشرحا مركزا شرح به البخاري صحيحه حتى قيل: (أن فقه كالعقيدة والعبادة والسلوك وغير ذلك).

وقد سمي كتابه الصحيح بالجامع لجمعه كل أو أكثر مقاصد العلم الديني وشموله لكل ما عبرت عنه السنة من أوجه النشاط في العقيدة والعبادة والسلوك وغير ذلك.

ومن فوائده:

١- الحكم على أساس ما فيه من الأحاديث الصحيحة على اجتهاد المجتهدين تصويبا أو تخطيئا.

٢- الرد على المبتدعة والزنادقة والمفسدين بما فيه من الأحاديث الصريحة الصحيحة.

٣- تنشيط مدرسة الحديث وعلومه وفتح المجال للانتقاء والمبالغة فيه.

٤- تدعيم النشاط فيما يتصل بلغة العرب وقواعده والاستشهاد لها وبها.

وفاة البخاري:

وفي سن الثانية والستين بعد حياة حافلة بالعلم خرج البخاري إلى خزنتك (من قرى سمرقند) ونزل ضيفا على بعض أقربائه بعد أن أنهكه الجهاد وأرهقه العمل فدعا قائلا :(اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضني إليك) وأقام في خرتنك أياما فمرض حتى وجه إليه

رسول من سمرقند يتلمسون منه الخروج إليهم فأجاب وتهيا للركوب ولبس خفية وتعمم فلما مشي عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها قال أرسلوني فقد ضعفت فتركوه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضي وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦هـ بعد أن ملأ الدنيا نورا بأحاديثه ينير الطريق أمام البشرية ويهديها الصراط المستقيم.

الإمام مسلم

هو الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد ابن كوشاذ القشيري النيسابورى.

ولد بنيسابور (أحد مدن خراسان) واجمعها للخير جمع الحاكم تاريخ علمائها في ثمانية مجلدات) وكان مولده سنة مائتين وست من الهجرة في عصر كان للحديث مجده وللسنة سلطانها، وكان العلماء الأفذاذ في كل قطر من أقطار الإسلام لهم فيه نشاط سامق لكن بلاد ما وراء النهر كانت أنشط الأقطار وأكثرها تدفقا بالحيوية والنشاط فيما يتصل بالحديث.

شخصيته:

أتممت شخصية الإمام مسلم بالبحث العلمي الجاد ولم تتح له ظروف عصره أن يظهر بما ظهر به الإمام البخاري من الجاذبية العلمية العنيفة والبروز الحاد، ولكن مع ذلك استطاع أن يلفت الأنظار إليه بشدة حينما أظهر صحيحه الذي أصبح صنو صحيح البخاري وأصبح به ثاني اثنين في جمع الصحيح من الحديث، وكان تام القامة أبيض الرأس واللحية يرخي طرف عمامته بين كتفيه بعد أن استمر به السن في دراسة الحديث، وكان له ضياع بأستوى ينفق منها على مطالبه الشخصية والعلمية وبدأ حياته بزازا إلى جانب طلبه للحديث، وكان أبوه الحجاج من المشيخة فورث عنه طلب العلم والاتجاه إلى دراسة الحديث.

هويته الطهي ورحلاته:

كان فيض العلم فيما يتصل بالحديث وفنونه ينهل منه كل طالب فالتمس الإمام مسلم تحصيل ما يمكن تحصيله وجد واجتهد في طلب العلم ورحل في سبيل ذلك إلى كثير من الأمصار والأقطار فضم إلى علم بلده علوم البلاد الأخرى حتى أصبح من حمالة التراث الإسلامي بكل ألوانه وصوره.

فرحل إلى العراق وسمع بها من كثيرين منهم أحمد بن حنبل وعبد الله بن مسلمة.

وإلى الحجاز وسمع بها من كثيرين منهم سيد بن منصور وأبو مصعب الزهوى.

وإلي مصر وسمع بها عمرو بن سوار وحرملة بن يحيى وآخرين.

وإلى الري وسمع بها محمد بن مهران الجمال وأبا عسم وآخرين.

وسمع بخراسان يحيى بن يحيى وإسحاق بن راهوية وآخرين.

وسمع من كثيرين من أساطين المحدثين وكبار رجال السنة، وجالس الإمام البخاري واستفاد منه حتى لقد قال الدار قطني:لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا جاء، وقال الخطيب أنما قفا مسلم طريق البخاري ونظر في علمه فحذا حذوه ولما ورد البخاري نيسابور آخر مرة لازمه مسلم وأدام الاختلاف وبقدر ما حصل من العلم واستفاد من العلماء بقدر ما بذل من العلم وأفاد، فقد روى عنه أبو عيسى الترمذي

حديثا واحدا وروى عنه يحيى بن صاعد ومحمد بن مخلد وأبو عمرو الخفاف ومحمد بن عبد الوهاب القراء وغيرهم.. وترك من الآثار ما يشهد له بجدية البحث ودقة الفهم وروعة التأثير والاستنباط.

مؤلفاته:

تنوع مجالات البحث عند الإمام مسلم وشملت من فنون الحديث أبدعها وكلها تدل على ما كان لدى الإمام مسلم من تمكن ودراية وفهم ومن هذه المؤلفات:

١- أوهام المحدثين.

٢- طبقات التابعين

٣- الأسماء والكني.

٤- السؤالات عن أحمد بن حنبل.

٥- العلل.

٦- المخضرمين(نقل عنه السيوطى في الحديث عن التابعين في كتاب تدريب الراوى).

٧- الوحدان.

٨- مشايخ الثوري.

٩- مشايخ مالك.

١٠- مشايخ شعبة.

وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة التي لم يبق منها إلا ذكرها الطيبة العطرة والتي تتنسمها في أثره الشامخ الخالد (صحيح مسلم).

صحيح الإمام مسلم:

والأثر الهام الباقي من تراث الإمام مسلم هو صحيحه الذي طبقت شهرته الآفاق وسار ذكره في الأمصار استغرق تأليفه خمس عشرة سنة وجمع فيه أربعة آلاف حديث من غير المكرر انتقاها من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة والمكرر أكثر من ثمانية آلاف أو اثني عشر ألف سند وطريق إلى الأحاديث المسندة فيه..قال أحمد بن سلمة: (كتبت مع مسلم في تأليف صحيحه خمس عشرة سنة وهو اثنا عشر ألف حديث) وقد امتاز صحيح مسلم بخصائص ومزايا جعلت بعض العلماء يقدمه على صحيح البخاري.

أول هذه المزايا: هو خلوصه للحديث دون غيره فليست فيه استنتاجات فقهية أو أصولية أو تفريعات علمية في أي مجال بل جعل لكل حديث موضعا يليق به جمع فيه طرقه التي ارتضاها واختار ذكرها وأورد فيه أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فيسهل على الطالب النظر في وجوهه واستثمارها ويحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه.

وثاني هذه المزايا: أن مسلما صنف كتابه في بلده بحضور أصوله في حياة كثير من مشايخه فكان يتحرى في الألفاظ ويتحرى في السياق ولا يتصدى لما تصدى له البخاري من استنباط الأحكام ليبوب عليها.

وثالث هذه المزايا: أنه رسم خطة بحثه في أول صحيحه ويذكر فيها سبب جمعه الصحيح وأقسام الأخبار والمنهج الحقيقي في تقدير الرواة ورأيه في الحديث المعنعن وبهذا كان صحيحه عبارة عن منهج وتطبيق لهذا المنهج وهو مستوى من المستويات الرفيعة في أي مؤلف من المؤلفات.

ذكر مسلم في مقدمة صحيحه أنه سئل أن يلخص مؤلفا في جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم في سنن الدين وأحكامه وما كان منها في الثواب والعقاب والترغيب والترهيب وغير ذلك من صنوف الأشياء بالأسانيد التي نقلت بها وتداولها أهل العلم فيما بينهم بلا تكرار لأن ضبط القليل المتقن أيسر من معالجة الكثير عند من يحتاج إلى أن يميز له غيره الحديث (غير المتخصص) ولأن القصد إلى الصحيح القليل أولى من زيادة السقيم وبين أن استجابته لذلك ستعود فائدتها عليه قبل كل شيء لأن القليل الصحيح خير من الكثير السقيم، وإذا كان العلماء المتخصصون يهجمون على الكثرة الغامرة من الأحاديث المختلطة من الصحيح والضعيف والموضوع يميزون منها ما يصح مما لا يصح وما يصلح مما لا يصلح فإن العوام لا نفع لهم في هذا الكثير ولا فائدة لهم منه بل أن هذه الكثرة كثيرا ما تنحرف بهم إلى الأخذ بما لا يصح الأخذ به والعمل بما ينبغي عدم العمل به.

فصحيح مسلم برز إلى الوجود نتيجة باعثين: باعث الطالب المباشر من أحد المعاصرين أو من فئة معينة منهم، ولا شك أن طالب الشيء إنما يطلبه غالبا ممن يستطيع القيام به وفي ذلك ما يدل على مكانة الإمام مسلم.

وباعث الطلب غير المباشر: طلب الحالة الحاضرة التي كان عليها الحديث قبل جمع الصحيحين من اختلاط الصحيح بالسقيم والقوى بالضعيف وتصور الاستفادة من الأحاديث على الخاصة دون العامة.

وسلك الإمام مسلم في صحيحه طريق التيقظ والتحوط وقسم الأخبار المسندة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى ثلاثة أقسام وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار إلا لضرورة تقتضي تكرير الحديث كزيادة معنى في الطريق الآخر أو كشف علة في إسناد بمقارنته بغيره من الأسانيد.

القسم الأول: ما نقله الثقات المتقنون الذين بلغوا أقصى درجات القوة في الرواية كابن عوف وأيوب السختياني مع الحسين وابن سيرين.

القسم الثاني: ما يقع في إسناده من ليس موصوفا بالحفظ والإتقان لكنه صادق متعاط للعلم مستور أي في الدرجة الوسطي من رجال الحديث كعوف بن أبي جميلة وأشعث الحمراني مع الحسن وابن سيرين.

القسم الثالث: ما رواه متهمون بالكذب أو الوضع أو الغفلة أو سوء الحفظ أو ما إلى ذلك من عيوب الرواة عند أكثر المحدثين أو عند كل المحدثين. وهذا القسم قد تركه مسلم ولم يعرج عليه ولم يدخل شيئا منه في صحيحه كمحمد بن سعيد المصلوب وغياث بن إبراهيم وغيرهم ممن اتهم بتوليد الأخبار ووضع الحديث.

أهم شروح صحيح مسلم:

١- المعلم بفوائد كتاب مسلم للإمام أبي عبد الله محمد بن على المازرى المتوفى سنة ٥٣٦هـ، وهو محفوظ بدار الكتب المصرية.

٢- أكمال المعلم في شرح صحيح مسلم للإمام القاضي عياض بن موسى اليحصبى المالكي المتوفى سنة ٥٤٤هـ وهو محفوظ بدار الكتب.

٣- شرح الإمام محيى الدين بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦هـ وسماء المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج.

وهناك شروح للزواوى المتوفى سنة ٧٤٤هـ والسنوسى المتوفى سنة ٨٩٥ هو الشيخ زكريا الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦هـ والسيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ وعلى القارى الحنفى المتوفى سنة ١٠١٤هـ ومن الشروح التي لم تتم كتاب فتح الملهم البشير العثماني الدينويندى وقد طبع منه ثلاثة أجزاء كبار قبل وفاته.

وفاته:

وتوفى رحمه الله عشية الأحد ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة ٢٦١هـ إحدى وستين ومائتين ودفن بنيسابور وقد حكموا في سبب موته أنه أجهد نفسه في البحث عن حديث بين الكتب والدفاتر وغفل عن نفسه فكان يتناول تمرا بجانبه فمرض من كثرة الإجهاد وعسر الهضم وتوفي بسبب ذلك، رحم الله مسلما رجلا أخلص العلم فوفقه الله فيه وأبلغه درجة من الدرجات العالية التي لا يصل إليها إلا المخلصون (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده).

الإمام أبو داود

إمام جليل من أئمة السنة له فيها مجهود مشكور وعمل مبرور هو كتاب السنن الذي لم يؤلف مثله في الأحكام دون غيرها فصار مرجع الفقهاء وعدة المجتهدين واستحق صاحبه الثناء.

نسبه ومولده:

هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن يحيى الأزدى السجستانى صاحب المؤلفات المشهورة والجهود المحمودة في مجال الحديث.

نشأ محبا للعلم راغبا في العلماء ملازما لمجالس التعليم فحصل من العلم في بلده ما أمكنه ورحل في سبيل ذلك إلى كثير من البلاد ولنترك الإمام أبو داود يتحدث عن نفسه فيما رواه محمد بن على بن عثمان الآجرى قال: سمعت سليمان بن الأشعث يقول: ولدت سنة اثنتين ومائتين وصليت على عفان ببغداد سنة عشرين(أي ومائتين) وسمعت من أبي عمر الضرير مجلسا واحدا ودخلت البصرة وهم يقولون: أمس مات عثمان المؤذن وتبعت عمر بن حفص بن غياث إلي منزله ولم أسمع منه شيئا ورأيت خالد بن خراش ولم أسمع منه شيئا، وسمعت من سعدوية مجلسا واحدا، وسمعت من عاصم بن على مجلسا واحدا، قلت: سمعت من يوسف الصفار؟ قال لا، قلت سمعت من ابن الأصفهاني؟ قال: لا. قلت سمعت من عمرو بن حماد بن طلحة قال لا، ولا سمعت من مخول بن

إبراهيم ثم قال: هؤلاء كانوا بعد العشرين والحديث رزق ولم أسمع منهم، وكان يحدث عن ابن الحمانى ولا عن سويد ولا عن ابن كاسب ولا عن ابن حميد ولا عن سفيان بن وكيع ولم من خلف بن موسى بن خلف ولا من أبى همام الدلال ولا من الرقاشى.

ورحل أبو داود إلى كثير من البلاد وسمع من شيوخها وعلى الأخص مصر والشام والجزيرة والعراق وخراسان وغيرها وسكن البصرة وقدم بغداد غير مرة وحدث فيها بكتاب السنن، بل يقال أنه صنفه بها وعرضه على الإمام أحمد فاستجاده واستحسنه وكان آخر العهد به في بغداد في أول سنة أحدى وسبعين ومائتين فخرج منها ولم يعد إليها ونزل بالبصرة وكان بها وفاته.

شيوخه وتلاميذه:

أخذ أبو داود عن كثير من الشيوخ من شتى الأقطار واتصل بمختلف المدارس ومن أشهر شيوخه الأئمة أحمد بن حنبل وعبد الله بن مسلمة وموسى بن إسماعيل التبوذكى وأبو عمرو الضرير ومسلم بن إبراهيم وعبد الله بن رجاء وأبو الوليد الطيالسى وأحمد بن يونس وأبو ثوبة الحلبى وقتيبة بن سعيد وعثمان بن أبى شيبة وإبراهيم بن موسى الفراء وغيرهم، وقد شارك البخاري ومسلما وقتيبة بن سعيد والقعبنى، وفي هذا ما يدل على أن الفرق بينه وبين الشيخين ليس إلا فرقا في التأثر والتعبير.أما تلاميذه ومن روى عنه فهم كثيرون من أشهرهم أبو عيسى الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائى وابنه أبو بكر بن أبى داود وأبو عوانة وأبو بشر الداولابى وأبو أسامة محمد بن عبد الملك وأبو سعيد بن

الأعرابي وأبو على اللؤلؤى وأبو بكر بن داسة وأبو سلم محمد بن سعيد الجلودى وأبو عمر وأحمد بن على وغيرهم، وبحسبه فضلا أن روى عنه شيخه الإمام أحمد بن حنبل حديثا سمعه منه بل وأحضر الدواة والقرطاس وطلب منه إملاء هذا الحديث بل وأوصى أحد وراقه بكتابة هذا الحديث عنه، وهذا الحديث هو ما رواه أبو داود من حديث حماد بن سلمة عن أبى معشر الدرامى عن أبيه(أن رسول الله صلي الله عليه وسلم سئل عن العتيرة فحسنها).

مؤلفاته:

وكما كان الإمام مثلا في الحديث والرواية والنوعية والتدريس كان رائدا في تأليفه وانتقائه لمواضيع بحثه فألف المؤلفات الشيقة في المجالات الدقيقة من مجالات التأليف وترك ثروة من الكتب ضاع أكثرها في زحام النكبات والأزمات ومن أشهر هذه المؤلفات، كتاب السنن، كتاب القدر، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب السائل، كتاب الزهد، كتاب دلائل النبوة، كتاب الدعاء، كتاب ابتداء الوحي، كتاب أخبار الخوارج، كتاب فضائل الإعمال، كتاب المراسيل.

وهكذا اشتملت مؤلفات الإمام على ما لم يشتمل عليه كتاب السنن فكونت بمجموعها ثروة علمية متكاملة.

وفاته:

وبعد حياة حافلة بخدمة العلم ومتانة البحث وجدية العمل اختاره الله لجواره فتوفى في السادس عشر من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة ودفن بها إلى جانب قبر سفيان بعد أن صلى عليه عباس بن عبد الواحد الهاشمى فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء.

سنن أبى داود:

عدها الإمام الكبير أحمد المعروف بشاه ولى الله الدهلوى في كتابه حجة الله البالغة من الطبقة الثانية من كتب الحديث وهي كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين ولكنها تتلوها عرف مصنفوها بالوثوق والعدالة والحفظ والتبحر في فنون الحديث، ولم يرضوا في كتبهم هذه بالتساهل فيما اشترطوا على أنفسهم وتلقاها من بعدهم بالقبول، واعتنى بها المحدثون والفقهاء طبقة بعد طبقة، واشتهرت فيما بين الناس، وتعلق بها القوم، شرحا لغريبها، وفحصا عن رجالها، واستنباطا لفقهها، وقال في موضع آخر: وجمع فيها الصحيح والحسن واللين الصالح للعمل وترجم على كل حديث بما استنبطه منه عالم أو ذهب إليه ذاهب أ هـ.

وقد انتقاه من خمسمائة ألف حديث فبلغ أربعة آلاف وثمانمائة حديث كلها في الأحكام وأكثرها مشاهير وأبرز فيه ثروته الفقهية التي امتاز بها على من عدا البخاري من الأئمة الستة وجمع فيه أبواب الفقه والأحاديث التي استدل بها فقهاء الأمصار وبنوا عليها الأحكام

حتى لقد قيل: (أن السنن تكفي المجتهد بعد كتاب الله تعالى) وجعله خالصا للأحكام دون غيرها كالفضائل والقصص والمواعظ والآداب أخذا بمبدأ التخصص وتحديد جانب من جوانب السنة المتعددة لجمعه وانتقائه وإمداد الباحثين والمؤمنين بكل ما يتصل به: وقد ظهرت براعته في التراجم على الأحاديث مما دل على كمال إحاطته بمذاهب العلماء ومعرفته بمسالكهم في الاستدلال فاعتنى بكتابه الفقهاء واشتهر بينهم وكان من أوفى المراجع بالنسبة إليهم وأثنى عليه كثير من العلماء.

تقسم السنن:

لم يدخر العلماء وسعا- بعد المدح الاجمالى لكتب السنة ووضع كل منها في موضعها الذي تستحقه ـ في نقد كل منها وإعطاء صورة واضحة عن منهج مؤلفها ومكانة مؤلفها ومكانة مؤلفه وما فاته فيه وما يمكن أن يستدرك عليه،وتحدث عن السنن جهابذة العلماء، فقال ابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣هـ في مقدمته:

ومن مظانه - أي الحسن- سنن أبى داود السجستانى رحمه الله، ورينا عنه أنه قال: ذكرت فيه الصحيح وما يشبهه ويقارنه، ورينا عنه أيضا ما معناه: أنه يذكر في كل باب أصح ما عرفه في ذلك الباب وأن ما كان في كتابه من حديث فيه وهن شديد بينه وما لم يذكر فيه شيئا فهو صالح وبعضه أصلح من بعض فعلى هذا ما وجدناه في كتابه مذكورا مطلقا وليس في واحد من الصحيحين ولا نص على صحته أحد

ممن يميز بين الصحيح والحسن عرفنا بأنه من الحسن عند أبى داود، وقد يكون في ذلك ما ليس بحسن عنده ولا يندرج فيما ضبط حد الحسن به، ثم قال: قال ابن منده: كان أبو داود السجستانى يأخذ مأخذ النسائى من التخريج عن كل من لم يجمع على تركه وكان يخرج الإسناد الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره لأنه أقوى عنده من رأى الرجال فكان في ذلك مثل أستاذه أحمد بن حنبل رحم الله الجميع.

وقد أوضح أبو داود منهجه في السنن ونظرته إليها في رسالته إلى أهل مكة ردا على سؤالهم له عن ذلك، ومن هذه الرسالة نقتطف ما يفى بالغرض ويحقق المقصود.

قال أبو داود: أما بعد: (عافانا الله وإياكم عافية لا مكروه معها ولا عقاب بعدها، فإنكم سألتم أن أذكر لكم الأحاديث التي في كتاب السنن أهى أصح ما عرفت في الباب؟ ووقفت على جميع ما ذكرتم...فاعلموا أنه كذلك كله إلا أن يكون قد روى من وجهين صحيحين فإحدهما أقوم إسنادا والآخر صاحبه أقوم في الحفظ فربما كتبت ذلك، ولا أرى في كتابى من هذا عشرة أحاديث ولم أكتب في الباب إلا حديثا أو حديثين، وأن كان في الباب أحاديث صحاح فإنها تكثر، وإما أردت قرب منفعته، وإذا أعدت الحديث في الباب من وجهين وثلاثة فإنما هو من زيادة كلام فيه وربما فيه كلمة زائدة على الأحاديث، وربما اختصرت الحديث الطويل لأنى لو كتبته بطوله لم يعلم بعض من يسمعه المراد منه ولم يفهم موضع الفقه فيه فاختصرته لذلك.. وأما المراسيل فقد كان يحتج بها العلماء فيما مضى مثل سفيان

الثورى ومالك والأوزاعى حتى جاء الشافعى فتكلم فيه وتابعه على ذلك أحمد بن حنبل وغيره رضوان الله عليهم فإذا لم يكن مسند ضد المرسل ولم يوجد سند غير المرسل فالمرسل يحتج به. وليس هو مثل المتصل في القوة، وليس في كتاب السنن الذي صنفته عن رجل متروك الحديث شيء، فإذا كان فيه حديث منكر بينت أنه منكر وليس على نحوه في الباب غيره، وهذه الأحاديث ليس منها في كتاب ابن المبارك ولا كتاب وكيع إلا الشئ اليسير وعامته في كتاب هؤلاء مراسيل، وفي كتاب السنن من موطأ مالك بن أنس شئ صالح وكذلك من مصنفات حماد بن سلمة وعبد الرازق، وقد ألفته نسقا على ما وقع عندى فإن ذكر لك عن النبي صلي الله عليه وسلم سنة ليس مما خرجته فأعلم أنه حديث واه إلا أن يكون في كتابى من طريق آخر فأنى لم أخرج الطرق لأنه يكثر على المتعلم، ولا أعرف أحدا جمع على الاستقصاء غيرى.. وما كان في كتابى من حديث فيه ومن شديد فقد بينته، ومنه ما لا يصح سنده،وما لم أذكر فيه شيئا فهو صالح وبعضها أصح من بعض: وهذا لو وضعه غيرى لقلت أنا فيه أكثر، وهو كتاب لا ترد عليك سنة عن النبي صلي الله عليه وسلم بإسناد صالح إلا وهى فيه إلا أن يكون كلاما استخرج من الحديث، ولا يكاد يكون هذا، ولا أعلم شيئا بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموا من هذا الكتاب، ولا يضر رجلا أن لا يكتب من العلم شيئا بعد ما يكتب الكتاب،وإذا نظر فيه وتدبره وتفهمه حينئذ يعلم مقداره، وأما

هذه المسائل، مسائل الثوري ومالك والشافعي فهذه الأحاديث أصولها.. والأحاديث التي وضعتها في كتاب السنن أكثرها مشاهير فإنه لا يحتج بحديث غريب ولو كان من رواية مالك ويحيى بن سعيد والثقات من أئمة العلم، وهى عند كل من كتب شيئا من الأحاديث إلا أن تمييزها لا يقدر عليه كل الناس والفخر بها أنها مشاهير فالحديث المشهور المتصل الصحيح ليس يقدر أن يرده عليك أحد، وأما الحديث الغريب فإنه لا يحتج به ولو كان من رواية الثقات من أهل العلم، قال إبراهيم النخعى: كانوا يكرهون الغريب من الحديث، وقال يزيد بن أبى حبيب إذا سمعت الحديث فانشده كما تنشد الضالة فإن عرف وإلا فدعه، وإن من الأحاديث في كتابي السنن ما ليس بمتصل وهو مرسل ومدلس وهو إذا لم توجد الصحاح عند عامة أهل الحديث على معنى أنه متصل، وهو مثل الحسن عن جابر، والحسن عن أبى هريرة، والحكم عن مقسم عن ابن عباس وليس بمتصل، وسماع الحاكم عن مقسم أربعة أحاديث، وأما أبو إسحاق عن الحارث عن على فلم يسمع أبو إسحاق من الحارث إلا أربعة أحاديث ليس فيها مسند واحد، وأما ما في كتاب السنن من هذا النحو فقليل، ولعله ليس للحارث الأعور في كتاب السنن إلا حديث واحد، فإنما كتبته بآخرة، وربما كان في الحديث شبه الحديث منه إذا كان يخفى ذلك على، فربما تركت الحديث إذا لم أفقهه، وربما كتبته وبينته، أو لم أقف عليه، وربما أتوقف عن مثل هذه لأنه لا ضرر على العامة أن يكتب لهم كتاب من هذا الباب فيما مضى من عيون الحديث لأن علم العامة يقصر عن مثل هذا ولم أصنف

في كتاب السنن إلا الأحكام، ولم أصنف كتب الزهد وفضائل الأعمال وغيرها، فهذه أربعة آلاف وثمانمائة كلها في الأحكام، فأما أحاديث كثيرة في الزهد والفضائل وغيرها فلم أخرجها.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

عناية العلماء بالسنن

اعتنى به العلماء رواية ودراية فاشتهرت روايتها عن أربع هم:

١- أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق التمار المصري المعروف بابن داسة المتوفى سنة ٣٤٦هـ.

٢-أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر المعروف بابن الأعرابي المتوفى سنة ٣٤٠هـ.

٣- أبو عيسى محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤى البصرى.

٤- أبو عيسى إسحاق بن موسى بن سعيد الرملى وراق أبى داود.

ورواية ابن داسة أكمل الروايات ورواية الرملى تقربها ورواية اللؤلؤلى من أصح الروايات لأنها من آخر ما أملى أبو داود وعليها مات رحمه الله ورواية ابن الأعرابى فيها أبواب ساقطة ونقص كبير.

وقام كثير من العلماء بشرح السنن منهم:

١- الإمام أبو سليمان أحمد بن إبراهيم بن خطاب البستى الحطابى المتوفى سنة ٣٨٨هـ ثمان وثمانين وثلثمائة (وقيل اسمه حمد بدون ألف) وسمى شرحه معالم السنن وهو شرح وسط اهتم فيه باللغات وتحقيق الروايات وضبط الكلمات واستنباط الأحكام والآداب والكشف عن

المفاهيم الفقهية في الأحاديث وتوضيح المعانى المستغلقة وقد طبع بمصر وغيرها وهو موجود متداول.

٢- شرح الشيخ قطب الدين أبو بكر اليمنى الشافعى المتوفى سنة ٦٥٢ اثنين وخمسين وستمائة ويقع في أربعة مجلدات كبار.

٣-شرح الشيخ العلامة سراج الدين عمر بن على بن الملقن اقتصر فيه على شرح زوائده على الصحيحين وبقع في مجلدين.

٤- شرح الشيخ ولى الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقى المتوفى سنة ٨٣٦ شرح من أوله إلى سجود السهو في ست مجلدات وقد توسع فيه في الشرح والتحليل ولكنه لم يكمل.

٥- شرح العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العينى الحنفى المتوفى سنة ٨٥٥ خمس وخمسين وثمانمائة ولم يكمل.

٦- شرح الشيخ السيوطى وسماه (مرقاة الصعود إلى سنن أبى داود).

٧- شرح الشيخ أبو الحسن السندى المدنى المتوفى سنة ١١٣٨ وهو تعليق لطيف وجيز.

٨- شرح الشيخ شرف الحق الشهير بمحمد أشرف بن على حيدر المصدقى المتوفى في القرن الرابع عشر الهجري وسماه (عون المعبود على سنن أبى داود) وذكر في مقدمته: أنه اقتصر فيه على حل بعض المطالب العالية، وكشف بعض اللغات المغلقة بتراكيب العبارات مجتنبا الإطالة والتطويل إلا ما شاء الله، وقد طبع بمصر أخيرا مع تعليقات لابن القيم على السنن.

الإمام الترمذي

إمام من أئمة المسلمين وعلم من أعلام المحدثين له في الحديث قدم راسخة وباع واسع، عاش حياته المباركة في جو علمي إسلامي فانطلقت مواهبه في مناخ علمي مزدهر بنهضة تدوين حديث رسول الله زمانا ومكانا، وأما الزمان فهو القرن الثالث الهجرى العصر الذهبى لتدوين السنة ظهرت فيه كتب الصحاح ومنها جامع الترمذي.

وأما المكان فبلاد ما وراء النهر (نهر جيحون) أرض العلماء سمت برجال الحديث: محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابورى، وإمامنا أبو عيسى الترمذي.

وهو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى البوغى الترمذي الضرير، ولد في مطلع القرن الثالث الهجري في ذى الحجة سنة تسع ومائتين من الهجرة في قرية من قرى مدينة ترمذ تسمى بوغ بينها وبين ترمذ ستة فراسخ إلى مرو والعجم ينسبون على غير قياس بالزاى والياء معا، ثم انتقل جده أيام الليث بن سيار إلى بوغ، والسلمى نسبه إلى بعض سليم قبيلة من غيلان، وتوفى أبو عيسى في بلادته بوغ في رجب سنة ٢٧٩هـ وقد أصبح الترمذي ضريرا في آخر عمره ولم يولد ضريرا.

قال محدث خراسان الحاكم أبو الحمد :سمعت عمر أن ابن علام يقول: مات محمد بن إسماعيل البخاري ولم يخلف بخراسان مثل أبى عيسى في العلم والورع بكى حتى عمى.

عاش الترمذي للحديث ورحل إليه حيثما وجد فسمع من الخراسانيين والحجازيين والعراقيين. وهو تلميذ إمام المحدثين البخاري وخريجه، وتأثر به ولاسيما في فقه الحديث وناظره وناقشه، وروى عنه البخاري حديثا وهذه مكانة وشهادة تقدر حق القدر في عرف المحدثين وتدل على مكانة الترمذي في نظر أئمة الحديث، وسمع الترمذي من الإمام مسلم بن الحجاج وأبى داود، واشترك مع أقرانه الأئمة الخمسة أصحاب الكتب المعتمدة ونهضة الحديث في القرن الثالث، الإمام البخاري، والإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى، والإمام أبو داود السجستانى والإمام النسائي أحمد بن شعيب والإمام ابن ماجة محمد ابن يزيد في تسعة شيوخ، محمد بن بشار بندار، ومحمد بن المثنى أبو موسى، وزياد بن يحيى الحسانى وعباس بن عبد العظيم العنبرى، وأبو سعيد الأشج عبد الله بن سعيد الكندى وأبو حفص عمرو بن على الفلاسى، ويعقوب بن إبراهيم الدورقى، ومحمد بن معمر القيسى البحرانى ونصر بن على الجهضمى، وقد أدرك أبو عيسى الترمذي شيوخا أقدم من هؤلاء وسمع منهم، وروى عنهم في كتابه الجامع، منهم عبد الله بن معاوية الجمحى، وعلى بن حجر المروزى، وسويد بن نصر بن سويد المروزى.

قسوة حفظه:

للمحدثين ألقاب علمية في غاية الدقة هي شهادات تقدير لهم تعطى لهم من الأئمة ومن المجتمع الإسلامي من هذه الألقاب المسند وهو من يروى الحديث بإسناده، سواء أكان عنده بمعناه أم لم يكن له إلا مجرد الرواية في دقة وحرص، والمحدث وهو أعلى شأنا من المسند بحيث يعرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال، ويحفظ الكثير من فنون الحديث، والحافظ وهو أعلى الدرجات العلمية لأنه يشترط أن يكون عالما بشيوخه وشيوخ شيوخه.

مكانته عند الأئمة:

لقد شهد الترمذي أئمة العلماء وزفرت بالثناء عليه كتب الطبقات، قال ابن الأثير في تاريخه: كان الترمذي إماما حافظا له تصانيف حسنة منها الجامع الكبير وهو أحسن الكتب.

وقال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب (كان مبرزا على الأقران آية في الحفظ والإتقان).

وقال المزى في التهذيب بأنه(الحافظ صاحب الجامع وغيره من المصنفات أحد الأئمة الحفاظ المبرزين ومن نفع الله به المسلمين) ووصفه السمعانى بأنه (أمام عصره بلا مدافعه) وقال عليه صاحب مفتاح السعادة:

(هو أحد العلماء الحفاظ الأعلام وله في الفقه يد صالحة أخذت الحديث عن جماعة من الأئمة ولقى الصدر الأول من المشايخ).

وقال الذهبي في الميزان (الحافظ العلم صاحب الجامع ثقة مجمع عليه ولا التفات إلى قول أبى محمد بن حزم في الفرائض من كتاب الإيصال انه مجهول فأنه ما عرف ولا درى بوجود الجامع ولا العلل له).

وقال الحافظ بن حجر في التهذيب (وأما أبو محمد بن حزم فأنه نادى على نفسه بعدم الإطلاع فقال في كتاب الفرائض محمد عيسى بن سورة مجهول ولا يقولن قائل: لعله ما عرف الترمذي ولا اضطلع على حفظه ولا على تصانيفه فإن هذا الرجل قد أطلق هذه العبارة في خلق من المشهورين من الثقات الحفاظ) وفي التهذيب عن نصر بن محمد الشيركوهى يقول: سمعت محمد ابن عيسى الترمذي يقول: قال لي محمد بن إسماعيل البخاري (ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بي) وذكره ابن حبان في الثقات وقال هيه كان محمد ممن جمع وصنف وحفظ والإمام الترمذي صاحب الجامع من الأئمة الستة الذين حرسوا سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصبحت كتبهم في عالم السنة هي الأصول المعتمدة في الحديث ومن الذين نضر الله وجوههم لأنه سمع حديث رسول الله فأداه كما سمعه، كتاب الشمائل النبوية للترمذي.

أن مؤلفات الترمذي التي طبقت شهرتها الآفاق، واستحق بها الإمامة هي كتاب الجامع للسنن ويعتبر كتاب العلل الصغرى ضمن كتاب الجامع كمدخل له وجزء منه وبيان لنهجه.

والكتاب الثاني، كتاب الشمائل المحمدية، وهما الكتابان الموجودان، ومن الكتب التي للترمذي وفقدت وذكرتها كتب الطبقات والتاريخ كتاب العلل الكبرى وكتاب التفسير، وكتاب التاريخ،وكتاب الأسماء والكنى وكتاب الشمائل من الكتب النفيسة القيمة وذكر له بروكلمان في تاريخ الأدب العربي أكثر من عشرين شرحا ومختصرا، والنسخة التي اعتمد عليها هي طبعة القاهرة مصطفى الحلبى كتاب جمع الوسائل في شرح الشمائل لعلم الرواية والدراية للإمام الترمذي، وتقع في جزءين بالحجم الكبير، الجزء الأول إلى صحيفة ٣٥٦ والثانية ٢٤٠صحيفة شرح العلامة على بن سلطان محمد القارى الحنفى نزيل مكة وبهامشه شرح المحدث الشيخ عبد الرءوف المناوى المصرى المتوفى سنة ١٠٠٣هـ على متن الشمائل.

وقد ابتدأ الإمام الترمذي كتاب الشمائل بباب ما جاء في خلق رسول الله صلي الله عليه وسلم، قال أبو عيسى أخبرنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن ربيعة بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك أنه سمعه يقول:كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق ولا بالآدم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

جامع الترمذي:

هو الكتاب الذي أصبح به الترمذي إماما في الحديث وهو أشهر كتبه وأجلها ويسمى (جامع الترمذي) و(سنن الترمذي) وسماه الحاكم أبو عبد الله الخطيب البغدادي (الجامع الصحيح للترمذي) أو (صحيح الترمذي وقد وصفه الترمذي وسماه بالصحيح روى ابن كثير في تاريخه عن الترمذي أنه قال: (صنفت هذا المسند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز فرضوا به وعرضته على علماء العراق فرضوا به وعرضته على علماء خراسان فرضوا له ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبى ينطق).

وقال المجد بن الأثير في مقدمة جامع الأصول(وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب وأكثرها فائدة وأحسنها ترتيبا وأقلها تكرارا، وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب، وفيه جرح وتعديل، وفي أخره كتاب العلل، وقد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها).

شروط الترمذي:

أن الشروط المعتبرة والمتفق عليها عند أئمة الحديث ومنهم الإمام الترمذي بالنسبة لصحة الحديث: الإسلام والعقل والصدق والحفظ وعدالة الرواة وعنايتهم بالحديث وعدم التدليس ثم استنبط المجتهدون الشروط الخاصة بعد ذلك لكل إمام من كتبهم أو أقوالهم، فقال أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى في شروط الأئمة الستة وأما أبو عيسى

فكتابه وحده على أربعة أقسام: قسم صحيح مقطوع به وهو ما وافق فيه البخارى ومسلم، وقسم على شرط الثلاثة(أبى داود والنسائي وابن ماجه)، وقسم آخر الضدية أبان علته ولم يغفله، وقسم رابع أبان هو عنه وقال ما أخرجت في كتابى إلا حديثا قد عمل به الفقهاء.

والواقع أن رأى المقدسى في شرط الترمذي وتفسيره على هذا الوجه اجتهاد محمود وأن كان يحتاج إلى المناقشة فهو غير مسلم على إطلاقه، فلا يفهم من قول الترمذي ما أخرجت في كتابى إلا حديثا قد عمل به الفقهاء، أنه يخرج كل حديث احتج به محتج أو عمل بموجبه عامل سواء صح طريقه أو لم يصح، بل كان يفهم ذلك لو قال الترمذي بأنه يحتج بكل حديث أحتج به الفقهاء،وفرق بين التعبيرين لجواز أنه ينتقي مما يحتج به الفقهاء ما توافرت فيه شروط خاصة في نظره، ثم أن هذا الشرط الذي قال به الترمذي ليس بقسم خاص من كتابه كما يفهم من كلام المقدسى، وإنما ينطق على كل ما أخرجه في كتابه، والذي قال به الترمذي في آخر كتابه الجامع الصحيح (جميع ما في هذا الكتاب من الحديث فهو معمول به) وقد أخذ بعض أهل العلم ما خلا حديثين: حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر بالمدينة والمغرب والعشاء من غير خوف ولا سفر، وحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد في الرابعة فاقتلوه وبينا علة الحديثين جميعا في الكتاب أ هـ.

وأن الإمام الترمذي ببيانه درجة الحديث استحق أن يطلق على كتابه الجامع الصحيح فقد قال أحمد شاه ولى الله الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة: والصحة أن يشترط مؤلف الكتاب على نفسه إيراد ما صح أو حسن غير مقلوب ولا شاذ ولا ضعيف إلا مع بيان حاله، فإن إيراد الضعيف مع بيان حاله لا يقدح في الكتاب، وقد أنصف المقدسى وأبان ذلك بقوله وقد أزاح عن نفسه الكلام فأنه شفى في تصنيفه وتكلم على كل حديث بما يقتضيه.

الإمام النسائي

هو الإمام الجليل: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر بن سنان بن دينار النسائي القاضي صاحب السنن الصغرى والكبرى والمحدث الشهير.

ولد بنساء (من بلاد خراسان) سنة خمس عشرة ومائتين ونشأ كغيره من أئمة الحديث محبا للعلم والعلماء نهما إلى المعرفة والتحصيل، ورحل إلى بلاد كثيرة في سبيل ذلك من أشهرها الحجاز والعراق والشام ومصر والجزيرة وسمع من الكثيرين بهذه الأقطار وتعرف على مناهجها المختلفة في دراسة الحديث واستطاع بمواهبه الطبيعية وجهوده الكسبية أن يصل إلى درجة عالية من انحفظ والإتقان والفهم والمعرفة حتى لقد قيل: أنه أحفظ من مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح.

وقد شاء الله لمصر أن تنعم بصحبة هذا الإمام وشاء له أن ينعم بالإقامة فاستوطنها واستمر يمارس نشاطه العلمي بها حتى قبيل وفاته.

شيوخه وتلاميذه:

ومن أشهر من أخذ عنه واستفاد منه من الشيوخ قتيبة بن سعيد الذي ارتحل إليه في سن الخامسة عشرة وأقام عنده سنة وشهرين وشارك في السماع منه أئمة الحديث كالبخاري ومسلم وأبى داود وسمع من الأئمة المشهورين كأبى قريب وسويد ابن نصر ومحمد بن انتصر المروزى

ومحمود بن غيلان وحمد بن بشار وهناء بن السرى ومحمد بن عبد الأعلى وأبو داود السجستانى والترمذي صاحب الجامع وغيرهم من كبار رجال الحديث.

أما من أخذ عنه العلم فكثيرون من أشهرهم أبو القاسم الطبراني وأبو جعفر الطحاوى وإبراهيم بن محمد بن صالح بن سنان وأبو على الحسين بن محمد النيسابورى ومحمد بن معاوية بن الأحمر الأندلسي والحسن بن رشيق ومحمد بن عبد الله بن حيوية وحمزة الكنانى وغيرهم من مشاهير العلماء.

ملامح من شخصيته وثناء الأئمة عليه:

كان شخصية جذابة وكان معتنيا بصحته ومطالب جسمه إلى جانب عنايته بخلقه ومطالب روحه وكان مجتهدا في العبادة مكثرا من الطاعة حتى لقد قيل: كان يصوم يوما ويفطر يوما.

وقال الحسن بن مظفر الحافظ: سمعت مشايخنا بمصر يعترفون له بالتقدم والإمامة ويصفون اجتهاده في العبادة بالليل والنهار ومواظبته على الحج والجهاد.

لقد كانت عنايته بصحته ليستطيع أعفاف نسائه والقيام بحق الله عليه من العبادة وأداء واجبه في الجهاد، لقد كان شجاعا متمرسا بالحرب وأساليب القتال خرج مع أمير مصر غازيا فوصفوا من شهامته وشجاعته وإقامته السنن المأثورة في فداء المسلمين واحترازهم من مجالس الأمير الذي خرج معه الشيء الكثير.

لم تكن مطالب جسمه وبيته تدفعه إلى التزلف إلى الحكام أو التساهل في الحلال والحرام لقد شغل مناصب هامة في الأمور الدنيوية بجانب مكانته الدينية فكان أميرا لحمص كما روى الطبراني في معجمه الأوسط قال: حدثنا أحمد بن شعيب الحاكم بحمص.. وفي ذلك ما يدلنا على أن خروجه للجهاد مع أمير مصر إنما كان بسبب ما مارس من أساليب الحرب وتعرف من طرق السياسة وأنه كان في جهاده من كبار المقاتلين فجمع إلى العلم العمل وإلى الآخرة الدنيا وكان مثلا حيا للعلماء.

لذلك كثر الثناء من الأئمة عليه قال الحاكم عن الدارقطني أبو عبد الرحمن النسائي مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره وكان الدارقطني يسمى كتابه: الصحيح.. وقال أبو علي النيسابوري: للنسائي شرط في الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج وكان من أئمة المسلمين وإذا لاحظنا أن أبا علي هذا هو الذي قال: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج وأثار ذلك الاتجاه المضاد في الموازنة بين البخاري ومسلم أخذنا رأيه هنا بشيء من الاحتياط وعذرناه بأن ذلك اجتهاد منه قد يخطئ فيه وقد يصيب.. وقد يكون رأى منه ما لم ير غيره، وقال أيضا: هو الإمام في الحديث بلا مدافعة، ونقل أبو الحسن محمد بن مظفر الحافظ ثناء العلماء بمصر عليه وشهادتهم له بالتقدم والإمامة والاجتهاد في العبادة.. وكان أبو بكر بن الحداد كثير الحديث ولم يحدث عن غير النسائي وقال:

رضيت به حجة بيني وبين الله، وقال منصور الفقيه وأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى: أبو عبد الرحمن النسائي أمام من أئمة المسلمين.

وقال ابن يونس: كان النسائي إماما في الحديث ثقة ثبتا حافظا- وسأل ابن طاهر سعد بن على الزنجانى عن رجل فوثقه فقال له: قد ضعفه النسائي: فقال: يا بنى أن لأبى عبد الرحمن شرطا في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلم أ هـ ، ولعله لم يستعمل هذا المنهج في تأليفه للسنن وأنه كان يظهر من معرفته الوثيقة بالرجال خاصة لتلاميذه، ما جعلهم يحكمون له بذلك.

وليس أدل على تحريه ودقته من تركه أحاديث ابن لهيعة حتى قال أحمد بن نصر الحافظ: من يصبر على ما يصبر عليه النسائي كان عنده حديث ابن لهيعة ترجمة يعنى عن قتيبة عنه فما صنفها- قال ابن حجر: لم يحدث له لا في السنن ولا في غيرها.

وكان يتحرى في الألفاظ إلى جانب تحريه في الرجال فلا يتساهل في وضع (حدثنا) مكان (أخبرنا) ونحو ذلك وليس أدل على ذلك من طريقة روايته عن الحارث بن مسكين، وذلك أن الحارث كان يتولى القضاء بمصر وكان بينه وبين أبى عبد الرحمن(النسائي) شيء لم يمكنه من حضور مجلسه فكان يستتر في موضع ويسمع حيث لا يراه، فلذلك تورع وتحرى ولم يقل (حدثنا أو أخبرنا) ولكن قال(الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع) وهذا فوق ما فيه من دلالة على دقة أمانته وكمال تحريه فيه مزيد تواضعه وكمال حرصه على العلم وتقديم المصلحة والعامة على كل ما سواها من الأمور.

وكان إلى جانب ما ذكرناه فقيها ظاهر الاجتهاد حتى لقد قال الدارقطني فيه (وكان أفقه مشايخ عصره في مصر وأعلمهم بالحديث والرجال) وقال الحاكم أبو عبد الله: أما كلام أبي عبد الرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن تذكر ومن نظر في كتابه(السنن) تحير في حسن كلامه.

وقد كان له انتقاء للتراجم وانتقاء لمختاراته من الأحاديث تدل على وعى عميق وخبرة تامة في الحديث رواية ودراية ومتانة في النقد الداخلي (نقد المتن) والخارجي (نقد السند) وفهم واع بما يدل عليه الحديث.

وذكر ابن الأثير أنه كان شافعي المذهب وله مناسك ألفها على مذهب الإمام الشافعي ومن المعروف أن الانتساب إلى مذهب معين لا يحرم المجتهد من فضيلة الاجتهاد إنما يحدد مجال اجتهاده في إطار اجتهاد إمامه..

آثاره:

وترك النسائي آثارا خالدة وذكريات عطرة في ميدان البحث والفكر وفي ميدان العمل والاجتهاد ومن أشهر مؤلفاته:

١- السنن الكبرى.

٢- السنن الصغرى(المجتبى).

٣- الخصائص.

٤- فضائل الصحابة.

٥- المناسك.

سنن النسائي:

ألف النسائي كتابين في السنن أحدهما الكبرى والآخر الصغرى قال السيوطي: سنن النسائي الذي هو أحد الكتب الستة أو الخمسة هي الصغرى دون الكبرى صرح بذلك التاج ابن السبكى وقال: هي التي يخرجون عليها الأطراف والرجال.. ورأيت بخط الحافظ أبى الفضل العراقى: أن النسائي لما صنف الكبرى(أي سننه) أهداها لأمير الرملة فقال له: كل ما فيها صحيح؟ قال: لا- فقال: ميز لي الصحيح من غيره فصنف له الصغرى أ هـ.

وقد سماها (المجتبى من السنن) ورتبه على الأبواب الفقهية كبقية كتب السنن وإذا نسب إلى النسائي حديث فإنما يعنون روايته في السنن الصغرى المسماة بالمجتبى وهو أقل السنن بعد الصحيحين ضعيفا فهو مقدم على سنن أبى داود وسنن الترمذي لأن النسائي يمتاز عنهما بشدة تحريه في الرجال حتى قيل: أنه كان أحفظ من مسلم بن الحجاج، قال أحمد بن محبوب الرملى: سمعت أبا عبد الرحمن بن شعيب النسائي يقول: لما عزمت على جمع كتاب السنن استخرت الله تعالى في الرواية عن شيوخ كان في القلب منهم بعض الشيء فوقعت الخيرة على تركهم فنزلت في جملة من الحديث كنت أعلو فيه عنهم أ هـ ، وكان لا يرى أن يحدث بحديث ابن لهيعة مع أن أحمد قد أكثر من الرواية عنه وكان قاضى مصر ومن كبار حفاظها إلا أنه اختلط في آخر عمره، وهذا التحوط البالغ إنما سار عليه في تأليف أو استخراج سننه الصغرى

من سننه الكبرى، ولذا كان كتابه بهذه الدرجة، ولقد بلغ التحرى بالنسائي أن تحرج من التخريج عن رجال أخرج لهم الشيخان.

قال ابن حجر:

كم من رجل أخرج له أبو داود والترمذي تجنب النسائي إخراج حديثه بل تجنب النسائي إخراج حديث جماعة من رجال الصحيحين وقال الحافظ أحمد بن نصر شيخ الدارقطنى:

(من يصبر على ما يصبر عليه النسائي، كان عنده حديث ابن لهيعة ترجمة فما حدث عنه شيء) وبين ذلك ابن حجر فقال(وكان عنده عاليا عن قتيبة عنه ولم يحدث به لا في السنن ولا في غيرها) وفي هذا ما يدل على أن سننه الكبرى أيضا لا تخلو من تحر ودقة ولكن سننه الصغرى كانت غاية في هاتين الناحيتين.

وروى محمد بن معاوية الأحمر عن النسائي قال: كتاب انسنن كله صحيح وبعضه معلول ألا أنه لم يبين علته والمنتخب المسمى بالمجتبى صحيح كله.

وقد ذكر ابن الصلاح في مقدمته عن ابن منده أنه سمع محمد ابن سعد الباوردى يقول:(كان من مذهب أبى عبد الرحمن النسائي أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه) ثم قال: فمراده- والله أعلم- صنيعه في السنن الكبرى، وإذا نسب إلى النسائي حديث فإنما يعون روايته في السنن الصغرى وهى المجتبى إلا ما كان من صنيع بعض

المؤلفين في الحديث كما نبه على ذلك صاحب (عون المعبود في أخر أبو الفرج الجوزى بأن فيها عشرة أحاديث موضوعة فقد نازعه في مختصره وقول المزى في الأطراف: الحديث أخرجه النسائي، فالمراد به السنن الكبرى للنسائي وليس المراد السنن الصغرى الذي هو مروج الآن في أقطار الأرض) ثم قال: فالحديث الذي قال فيه المنذرى والمزى أخرجه النسائي وما وجدته في السنن الصغرى فاعلم أنه في الكبرى ولا تتحير لعدم وجدانه فأن كل حديث في الصغرى موجود في الكبرى ولا عكس ويقول المزى في كثير من المواضع أخرجه النسائي في التفسير وليس في الصغرى تفسير، أ هـ، وفعل مثل ذلك السيوطى في جامعه وغيره ممن فهرسوا كتب الحديث وجمعوه، والواقع أن سنن النسائي الصغرى في منتهى الدقة ولا يكاد يوجد فيها موضوع وأن قال أبو الفرج الجوزى بأن فيها عشرة أحاديث موضوعة فقد نازعه في ذلك السيوطى في كتابه (التعقبات على الموضوعات) وعلى فرض التسليم بذلك فهذا عدد قليل جدا بالنسبة إلى كتاب ككتاب السنن.. وقد اختلف الناس في صحة كل ما فيه.

فقال الدارقطنى وابن منده وابن السكن وأبو على النيسابورى وأبو أحمد بن عدى: كل ما في السنن صحيح ووافقوا في ذلك النسائي وقال غيرهم بغير ذلك- كابن كثير في كتابه(الباعث الحثيث) حيث قال: (وقول الحافظ أبى على بن السكن وكذا الخطيب البغدادي في كتاب السنن للنسائي: أنه صحيح فيه نظر... وكذا القول بأن له شرطا في الرجال أشد من شرط مسلم غير مسلم(مقبول) فأن فيه رجالا

مجهولين أما عينا أو حالا وفيهم المجروح.. وفيه أحاديث ضعيفة ومعللة ومنكرة.

ولعل المراد من الكل في قول العلماء وقول النسائي كل ما فيها صحيح(معظمها) أو لعل ابن كثير يتحدث عن السنن الكبرى للنسائي- وعلى كل فهذا الخلاف مرجعه إلى اختلاف الأنظار في الجرح والتعديل والاختلاف في شروط التصحيح والتحسين والتضعيف قوة وليونة.

الإمام: ابن ماجه

الإمام: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه السربعى القزوينى.

ولد سنة تسع ومائتين من الهجرة.

وكشأن أئمة الحديث في ذلك العصر توجه بهمته إلى مجالس العلم وأقبل على حلقاته يحصل ما يجد أمامه، ويلتهم كل ما يقدمه العلماء حتى إذا ما أنس في نفسه قوة على الرحيل هاجر في سبيل العلم إلى كثير من الأقطار وعديد من البلاد فارتحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر والكوفة والبصرة وغيرها من الأمصار والأقطار وتعرف على مدارس أئمة الحديث المختلفة، واستفاد من كل المناهج والنماذج حتى صار من أئمة الحديث المعدودين، وقد أتاحت له هذه الهمة العالية والعزيمة السامية أن يلتقي بعدد أن الشيوخ في كل قطر وفي كل بلد رحل إليه، فسمع من شيوخ البلاد كأبي بكر بن أبى شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير وجبارة بن المفلس وهشام بن عمار ومحمد بن رمح وداود بن رشيد وعلقمة بن عمرو الدارمى وأزهر بن مروان ومحمد بن بشار وعمرو ابن عثمان بن سعيد وغيرهم من كبار الأئمة والعلماء، وصح فيه قول أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزوينى: ابن ماجه ثقة كبير متفق عليه محتج به له معرفة وحفظ، ثم قال: كان عالما بهذا الشأن صاحب تصانيف منها التاريخ والسنن وارتحل إلى العراقيين والشام ومصر، وصفه الإمام الذهبي بأنه: الحافظ الكبير المفسر صاحب السنن والتفسير ومحدث تلك الديار ومدحه الحافظ ابن كثير.

وقد ذكرنا مؤلفاته في ثنايا التقديم لشخصيته وهي:

١- كتاب السنن المتداول الآن.

٢- تفسير حافل للقرآن الكريم كما قال ابن كثير.

٣- تاريخ ممتاز أرخ فيه من عصر الصحابة إلى عصره ولم يبق من هذه الآثار القيمة إلا كتاب السنن.

ولم يقتصر النشاط العلمي لابن ماجه على التأليف بل تعداه إلى الدرس والتعليم فدرس وأسمع وربى وهذب، ومن أشهر من روى عنه ابن سيبويه ومحمد بن عيسى الصفار وإسحاق بن محمد وعلى بن إبراهيم بن سلمة القطان وأحمد بن إبراهيم وسليمان بن يزيد انقزوينى وأحمد بن روح البغدادي وغيرهم من مشاهير الرواة.

وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل اختاره الله إلى جواره في يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين، وصلى عليه أخوه أبو بكر وتولى دفنه مع أخيه الآخر أبو عبد الله وابنه عبد الله بن محمد بن يزيد، رحمه الله على ما بذل في سبيل البحث والتعليم.

سنن ابن ماجه:

من الكتب المشهورة والهامة في مجال الحديث النبوى هذا الكتاب القيم (سنن ابن ماجه) وقد عده الحافظ أبو الفضل بن طاهر المقدسى المتوفى سنة(٥٠٧) من الكتب الستة التي هي أصول كتب وقبل ابن

طاهر هذا كان المتقدمون من المحدثين على عا أصول كتب الحديث خمسة فقط: الصحيحين وسنن النسائي وسنن أبي داود وجامع الترمذي، ووافقهم على ذلك كثير من محققي المتأخرين، والسبب في عدم اختيارهم سنن ابن ماجه أنه قد تفرد فيه بإخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب وسرقة الأحاديث وبعض تلك الأحاديث لا تعرف إلا من جهتهم.

أما سبب اختيار ابن طاهر ومن وافقه عده من الكتب الأصول في الحديث ما فيه من عظيم النفع وجمال الترتيب وسعة الجمع وحسن الانتقاء.

تقييم السنن:

لم يخلص سنن ابن ماجه، كغيره من السنن الصحيح أو المقبول، لقد اشتمل على الصحيح والحسن والضعيف، بل والمنكر والموضوع على قلة، وهي أقل درجة من كتب السنن الأخرى لكثرة الضعف فيها حتى قال المزي: (أن كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة ضعيف) ولكن الحافظ ابن حجر تعقب هذا القول وقال:(أنه- أي ابن ماجه- انفرد بأحاديث كثيرة وهي صحيحة فالأولى حمل الضعيف على الرجال، أهـ ولا يلزم من ضعف رجال السند أن يكون المتن(لفظ الحديث) ضعيفا، لاحتمال ثبوته من طريق بسند صحيح ورجال ثقات.

وقال الذهبي: سنن ابن ماجه كتاب حسن لولا ما كدره من ذكر أحاديث واهية ليست بالكثيرة، وقال في موضع آخر: (وإنما غض من

رتبة سننه- أي ابن ماجه- ما في الكتاب من المناكير وقليل من الموضوعات).

وقد انتقد ابن الجوزى بعض أحاديث في سنن ابن ماجه وعدها من الموضوعات وعدتها كما ذكر السيوطي في تعقيباته ثلاثون حديثا وقد نازع السيوطى في (التعقيبات) في هذا الحكم والحق أن ابن الجوزى ينبغي أن يسلم له الحكم على أكثر هذه الأحاديث بالوضع(ولعلها هي التي انتقدها أبو زرعة) وبعض الأحاديث التي انتقدها مما أجمع الحفاظ على وضعها غلطا مثل حديث(من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار) قال الحاكم: دخل ثابت بن موسى على شريك بن عبد الله القاضي والمستملى بين يديه وشريك يقول: حدثنا الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- ولم يذكر المتن- فلما نظر شريك إلى ثابت بن موسى قال: (من كثرت صلاته بالليل حسن وجه بالنهار) وأراد مدح ثابت بذلك لورعه وزهده، فظن ثابت أن هذا مما يرويه شريك بهذا الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يحدث به عن شريك بهذا الإسناد، ولقد سرقه منه جماعة ضعفاء وحدثوا به عنه..وقد روى ابن ماجه هذا الحديث في سننه عن إسماعيل ابن محمد الطاحى عن ثابت بن موسى الزاهد عن شريك عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر مرفوعا، فالوضع ليس متعمدا ولكنه نتيجة سوء فهم أو ضعف تقدير ومع ذلك فقد استطاع خبراء

الحديث استخراج الوضع ومعرفة سببه مما يدل على مدى دقتهم وحسمهم في الحكم على الحديث.

وقد اشتملت سنن ابن ماجه على أحاديث عالية(قليلة الرجال) حتى صار بين ابن ماجه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثلاثة رجال وهى ما تعرف بالثلاثيات قال الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى وقد وفقه الله لطبع سنن ابن ماجه طبعا متقنا وعدها عدا حاسما وتخريجها تخريجا مناسبا مختصرا.

جملة أحاديثها ٤٣٤١ واحد وأربعون وثلاثمائة وأربعة آلاف حديث منها ٣٠٠٢ اثنان وثلاثة آلاف حديث أخرجها أصحاب الكتب الخمسة أو بعضهم وباقيها ١٣٣٩ تسعة وثلاثون وثلاثمائة وألف هي زوائد ابن ماجه على ما جاء في الكتب الستة انفرد بها عنهم(وقد سبق أن ذلك من أسباب اختياره للمرتبة السادسة) وهذه الزوائد ، منها :

٤٢٨ ثمانية وعشرون وأربعمائة حديث رجالها ثقات وهى صحيحة الإسناد.

١٩٩ تسعة وتسعون ومائة حديث حسنة الإسناد.

٦١٣ ثلاثة عشر وستمائة حديث ضعيفة الإسناد.

٩٩ تسعة وتسعون حديثا واهية الإسناد.

وعدد كتب(السنن) سبعة وثلاثون كتابا عدا المقدمة وعدد أبوابه خمسة عشر وخمسمائة وألف باب.

ومن هذا يتبين لنا أن سنن ابن ماجه كتاب قيم جدير بما حكم له ابن طاهر وأن نسبة الضعف أو السقوط فيه قليلة وأنه من دواوين السنة القيمة.

* * *